على مواضيع العلوم المتداولة في العالم وفوائدها وبعض مسائلها في الجملة كما ألمعنا الى ذلك آنفاً، ليكون كل فرد على بصيرة من حالة عصره ولان العلوم والفنون يتداخل بعضها ببعض ويعد بعضها بعضاً، وما وراء الذي شرحناه كالعلوم والفنون التي عليها مدار ترقي الصناعة والزراعة والتجارة فيجب ان ينفرد لها طوائف من الامة، وحيث كان التوسع فيها يتوقف على الاستعانة بكتب الافرنج الذين أتقنوها وجنوا ثمارها فينبغي أن يتعلم بعض لغات أولئك الاقوام طائفة منا لاجل ترجمة الكتب المفيدة في تلك العلوم

هذا ما عن لنا في هذا المقام كتبناه على طريق الاجمال، فاذا سار عليه القائمون بتشييد المدارس نرجو أن يكون سعيهم مؤديا لسعادة الامة والوطن، والا كان اغواء واضلالا ووبالا ونكالا، فقد جربنا التعليم بغير الصبغة الدينية فما زادنا الا بلية ورزية، ونرجو ممن رأى في كلامنا هذا منتقداً ان ينبهنا اليه، وربما نعود الى الموضوع في فرصة أخرى والله الموفق

رسالة الحاسد والمحسود

(للجاحظ)

نقلناها عن نسخة بخط علي بن هلال الكاتب المقروء

(بسم الله الرحمن الرحيم)

أطال الله بقاءك، وجعل الله لك السلامة وأدام لك الكرامة، ورزقك الاستقامة ودفع عنك الندامة

كتبت الي اكرمك الله تسألني عن الحسد ما هو ومن أين هو وما دلائله وأفعاله، وكيف تفرقت أموره وأحواله، وهم بعرف ظاهره ومكتومه، ولم صار في العلماء أكثر منه في الجهلاء، ولم كثر في الاقرباء وقل منه في البعداء وكيف دب في الصالحين أكثر منه في الفاسقين، وكيف خص به الحيوان من جميع الاوطان ؟؟

الحسد — أبقاك الله — داء ينهك الجسد، ويفسد الاود، علاجه عسر وصاحبه ضجر، وهو باب غامض وأمر متعذر، فاظهر منه فلا يداوى، وما بطن منه فداويه في عناء، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم «دب اليكم داء الامم من قبلكم الحسد والبغضاء»

وقال بعض الناس لجلسائه أي الناس أقل غفلة ؟ فقال بعضهم صاحب ليل انما همه ان يصبح، فقال انه لكذا وليس كذلك، وقال بعضهم المسافر انما همه أن يقطع سفره، فقال انه لكذا وليس كذلك، فقالوا له فأخبرنا بأقل الناس غفلة، فقال الحاسد انما همه أن ينزع الله منك النعمة التي أعطاكها فلا يغفل أبدا

وروي عن الحسن انه قال: الحسد أسرع في الدين من النار في الحطب اليابس، وما أتى المحسود من حاسد الا من قبل فضل الله اليه ونعمته عليه قال الله تبارك وتعالى (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله، فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما) والحسد ضد الكفر وحليف الباطل، وضد الحق وحرب البيان، وقد ذم الله أهل الكتاب فقال (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق) فمنه تولد العداوة وهو سبب كل قطيعة، ومنع كل وحشة، ومفرق كل جماعة، وقاطع كل رحم بين الاقرباء، وحدث

الفرق بين القرناء، وملقح الشر بين الخلطاء يكمن في الصدور كمون النار في الحجر، ولو لم يدخل رحمك الله على الحاسد بعد تراكم الهموم على قلبه، واستمكان الحزن في جوفه، وكثرة مضضه ووساوس ضميره، وتنغيص عمره وكدر نفسه، ونكد لذاذة معاشه، الا استصغاره لنعمة الله عنده، وسخطه على سيده بما أفاد الله عبده، وتمنيه عليه أن يرجع في هبته اياه، وان لا يرزق أحدا سواه، لكان عند ذوي العقول مرحوما، وكان عندهم في القياس مظلوما، وقد قال بعض الاعراب: ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من الحاسد، نفس باكية، وقلب هائم، وحزن لازم، والحاسد مخذول ومأزور، والمحسود محبوب ومنصور، والحاسد مهموم ومهجور، والمحسود مغتبط ومزور

والحسد - رحمك الله - أول خطيئة ظهرت في السموات، وأول معصية حدثت في الارض، خص به أفضل الملائكة فعصى ربه، وقايس خلقه واستكبر عليه، وقال (خلقتني من نار وخلقته من طين) فلعنه وجعله ابليس وأنزله من جواره وشوه خلقه تشويها، فهو على أنبيائه تعويها. فمن هنا هزم ربه فواقع الخطيئة، فارتدع المحسود فتاب عليه وهدى، ومضى الحاسد اللعين على حسده فشقي وغوى. وأما في الارض فابنا آدم حيث قتل أحدهما أخاه، فعصى ربه وأتكل أباه، وبالحسد طوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين. لقد حمله الحسد على غاية الفسوق، وبلغ به أقصى حدود العقوق، واذ ألقى عليه الحجر شادخا، فأصبح عليه نادما صارخا. فمن شأن الحاسد ان كان المحسود غنيا توبيخه على ثرائه، وقال جنبه حرانا ومنعه أثاثا. وأثاب عليه عاويج أقاربه وتركهم له خصماء، وأمانهم في الباطل، وحمل المحسود على غطيتهم في الظاهر، وقال له: كفروا

معروفك، وأظهروا في الناس ذمك، فليس أمثالهم يوصلون فانهم لا يشكرون، وان وجد له خصما أعانه عليه ظلما . فان كان ممن يعاشره فاستشاره غشه، أو تفضل عليه بمعروف كفره، أو دعاه الى نصره خذله، أو حضر مدحه ذمه، وان سئل عنه همزه، أو كانت عنده شهادة كتمها، وان كانت منه اليه زلة عظمها، يحب أن يعاد ولا يعود، ويري عليه العقود . وان كان المحسود عالما قال مبتدع، ولرأيه متبع، حاطب ليل، ومتبع نيل، مايدري ماحمل، قد ترك العمل، وأقبل على الحيل، قد أقبل بوجوه الناس اليه، وما أحقهم اذا مالوا عليه، فقبحه الله من عالم ما أعظم بليته، وأقل رعيته، وأسوأ طعمته . وان كان المحسود ذا دين قال متصنع يغزو ليوصى اليه، ويحج ليثنى عليه، ويقرأ في المسجد ليزوجه جار ابنته، ويحضر الجنائز لتعرف شهرته، وما لقيت حاسداً قط الا تبين لك مكتومه بتغيير لونه، وتخويص عينه، واخفاء سلامه والاعراض عنك والاقبال على غيرك، والاستثقال لحديثك والخلاف لرأيك، ولذلك قال القائل

طال على الحاسد احزانه فاصفر من كثرة احزانه
دعه فقد أشعلت في جوفه ما هاج منه حر نيرانه
الغيب أشهى عنده لذة من لذة المال لخزانه
فارم على غاربه حبله تسلم من كثرة بهتانه

وكان عبد الله بن أبي قبل نفاقه نسيج وحده بجودة رأيه وبعد همته، ونبل شيمته، وانقياد العشيرة له بالسيادة والسعادة، واذعانهم له بالرياسة، وما استوجب ذلك الا بعد ما استجمع له لبه، وتبين لهم عقله

وافتقدوا منه جهله ، ورأوه لذلك أهلا ، لما أطاق له حملا ، فلما بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم ، قدم المدينة ورأى عز رسول الله صلى الله عليه شمخ بأنفه فحسده ، فهدم اسلامه وأظهر نفاقه ، وما صار منافقا حتى صار حسوداً ، فمق بعد اللب ، وجهل بعد العقل ، وتبوأ النار بعد الجنة

ولقد خطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة فشكاه الى الانصار فقالوا يارسول الله لا تلمه فقد كنا عقدنا له الخرز قبل قدومك لنتوجه ، ولو سلم المخذول من الحسد لكان من الاسلام بمكان ، ومن السؤدد في ارتفاع ، فوضعه الله بحسده واظهار نفاقه . ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم «لا حسد الا في اثنتين : رجل آتاه الله مالا فهو ينفق منه ، ورجل آتاه الله قرآنا فهو يقوم به في آناء الليل والنهار» كان ما سواهما مذموما ، وصاحبه عليه مقليا ، وربما نتج الحسد الكبر فيلغ صاحبه في المقت غايته ، وفي البغض من جميع الخلق نهايته ، فلا يمر بملأ الا مضغوه ، ولا يذكر في مجلس الا سبوه ، واشهد انه في ملكوت السماء أشد مقتا ، لان النبي صلى الله عليه وسلم قال « أنتم شهداء الله في الارض فما رآه المسلمون حسنا كان عند الله حسنا وما راه المسلمون قبيحا سيئا فهو عند الله سيء »

وقال بعضهم اني أشتري اللحم فأخفيه من جيراني مخافة أن يحسدوني . وذلك ان الجيران — رحمك الله — طلائع عليك ، وعيونهم نواظر اليك ، فمسى كنت بينهم معدما فأيسرت فبذلت واعطيت ، وكسوت واطعمت ، وكانوا في مثل حالك فاتضعوا ، فسلبوا النعمة وألبستها أنت ، فعظمت عليهم بلية الحسد ، وصاروا منه في تنغيص آخر الابد

ولولا ان المحسود بنصر الله اياه مسرور ، وبصنعه محجوب ، لم يأت

عليه يوم الا كان مقهوراً ، ولا بات ليلة الا كان عن منافعه مقصوراً ، ولم يمس الا وماله مسلوب ، ودمه مسفوك ، وعرضه بالضرب منهوك

وقال مالك بن دينار تقبل شهادة القراء في كل شيء الا بعضهم في بعض، فاني وجدتهم أشد تحاسدا من التيوس تنشد النعجة فيهب عليها هذا التيس مرة وهذا التيس مرة ، وضرر المحسود الى صديقه اكثر منه الى عدوه، والى خليطه أظهر منه الى مفارقه، والى قريبه أسرع منه الى بعيده، وذكر حميد الطويل انه سأل الحسن البصري فقال يا أبا سعيد هل يحسد المؤمن ؟ فقال أنسيت — لا أبالك — اخوة يوسف ؟ المؤمن يحسد ولكن مالم يظهر بلسانه ويده ،

وأقول ما خالط الحسد قلبا الا لم يمكنه ضبطه ، ولا قدر على تشحينه وكتمانه ، حتى يتمرد عليه في ظهوره واعلانه، فيتعبده ويستعمله ويستنطقه لقهوره عليه ، لهو أغلب على صاحبه من السيد على عبده ، ومن السلطان على رعيته ، ومن الرجل على زوجته، ومن الآمر على أسيره . وكان ابن الزبير بالصبر موصوفا ، وبالدهاء معروفا ، وبالعقل موسوما، وبالمداراة متهوما، فأظهر بلسانه حسدا كان أصب عليه لما طال في قلبه طائله، حتى ظهر عليه مع صبره على المكاره ، وحمله نفسه على حتفها ، وقلة اكتراثه والتفاته على احجار المجانيق التي تمر عليه فتذهب بطائفة من قومه مايلتفت اليها ،

حدثنا عن علي بن مسهر عن الاعمش عن صالح بن حباب عن سعيد بن جبير انه قال قدت ابن عباس حتى أدخلته على ابن الزبير، فقال له ابن الزبير أنت الذي تؤنبني ؟ قال نعم لاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ليس بمؤمن من بات شبعان وجاره طاو » فقال له ابن الزبير قلت ذاك

واتبعه بقول يدل على حسد كان ابن عباس من شره معصوما ، وكان ذلك بما في قلبه لبني هاشم مهزوما ، وكانت وخزة ثقيلة فلم يبدها له . وفروع بني هاشم حول الحرم باسقة ، وعروق دوحتهم بين أطباقها راسية ، ومجالس بني هاشم من أعاليها غامرة ، وبحورها بارزاق العباد زاخرة ، وأنجمها بالهدى زاهرة ، فلما تجلت البطحاء من صناديدها استقبله بما أمكن في نفسه ، والحاسد لا يغفل عن فرصته الى ان يأتي الموت على رمته ، وما استقبل ابن عباس ذلك الا ما رأى عمر بقدمه على أهل القدم ، ونظر اليه وقد أطاف به الحرم ، فأوسعهم حكماً ، وتعقبوا منه رأياً وفهماً ، وأشبعهم علما ولحما . ويروى عن ابن سيرين أنه قال ما رأيت أكثر علما ولحما من منزل ابن عباس

وأما أنا فحقا أقول لو ملكت عقوبة الحاسد لم أعاقبه بأكثر مما عاقبه الله بالزامه الهموم قلبه وتسليطها عليه فزاده الله حسداً ، وأقامه عليه أبداً (لها بقية)

﴿ مقتطفات من الجرائد ﴾

(دماغ الرجل ودماغ المرأة) — يبدأ دماغ المرأة بالتقهقر في سن الثلاثين أما الرجل ففي الاربعين

(الدخان لقياس رطوبة الهواء) — اذا أشعلت سيكارتك ورأيت دخانها يصعد مسرعا فاعلم أن الهواء رطب واذا رأيته يهبط أو يبقى سابحا فالهواء جاف وتعليل ذلك واضح لما تعلمه من ثقل الهواء اذا كان رطبا فاذا سبح الدخان فيه كان أخف منه فيتصاعد والعكس بالعكس